

## • فصل : أسباب انحطاط الهمم :

1. **الوهن :** وهو كما فسره رسول الله ص ( حب الدنيا وكراهية الموت ) ، أما حب الدنيا فرأس كل خطيئة ، وهو أصل التثاقل إلى الأرض وسبب الإنغماس في الترف ، وقد مرَّ بشر الحافي على بئر فقال له صاحبه : أنا عطشان ، فقال : البئر الأخرى ، فمرَّ عليها فقال له : الأخرى ، ثم قال : كذا تُقطع الدنيا . أما كراهية الموت فثمرة حب الدنيا والحرص على متاعها ، مع تخريبه الآخرة ، فيكره أن ينتقل من العمران إلى الخراب . حب السلامة يشي عزم صاحبه \*\*\* عن المعالي ويغري المرء بالكسل

2. **الفتور :** عن عبدالله بن عمر عن رسول الله ص : (إن لكل عمل شرة ، ولكل شرة فترة ، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد أهتدى ، ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك ) والشرة : نشاط وقوة ، والفترة : ضعف وفتور .

لكل إلى شأٍ العلا حركات \*\*\* ولكن عزيز في الرجال ثبات

3. **إهدار الوقت الثمين :** أي في الزيارات والسمر وفضول المباحات ، قال ص : ( نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ، الصحة والفراغ )

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه \*\*\* وأراه أسهل ما عليك يضيع

قال الفضيل بن عياض ( أعرف من يعد كلامه من الجمعة إلى الجمعة ) ، وقال بعض السلف : ( إذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب ) ، وكان عثمان الباقلائي دائم الذكر لله فقال : (إني وقت الإفطار أحس بروحي كأنها تخرج لأجل اشتغالي بالأكل عن الذكر )

4. **العجز والكسل :** وهما اللذان أكثر الرسول ص من التعوذ منها ، وقد يعذر العاجز لعدم قدرته ، بخلاف الكسول الذي يتثاقل مع قدرته ، قال تعالى : ( ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فنبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ) وقد ترى الرجل موهوباً ونابعةً فيأتي الكسل فيخذل همته ويمحق موهبته ويشل طاقته .

5. **الغفلة :** قال عمر ر : ( الراحة للرجال غفلة ) ، وسئل ابن الجوزي : أيجوز أن أفصح لنفسي في مباح الملاهي . . ؟ فقال : ( عند نفسك من الغفلة ما يكفيها ) ،

قال أ.محمد أحمد الراشد حفظه الله معلقاً : ( فإن اعترض معترض بمثل كلام ابن القيم حيث يقول ( لا بد من سنة الغفلة ، ورقاد الغفلة ، ولكن كن خفيف النوم ) ، فالمراد التقليل من الراحة إلى أدنى ما يكفي الجسم ، كل حسب صحته وظروفه الخاصة ، فالمؤمن في هذا الزمان أشد حاجة للإنباه ومعالجة قلبه وتفتيشه مما كان عليه المسلمون من قبل ، ذلك أنهم كانوا يعيشون في محيط إسلامي تسوده الفضائل ويسوده التواصي بالحق ، والرذائل في ستر وتواري عن عيون العلماء وسيوف الأمراء ، أما الآن فإن المدنية الحديثة جعلت كفر جميع مذاهب الكفار مسموعاً مبصراً بواسطة الإذاعات والتلفزة والصحف ، وجعلت إلقاءات الشيطان قريبة من القلوب ، وبذلك زاد احتمال تأثر المؤمن من حيث لا يدري ولا يشعر ، فضلاً عن ارتفاع حكم الإسلام عن الأرض الإسلامية التي يعيش فيها )

6. **التسويق والتمني :** وهما صفة بليد الحس ، عديم المبالاة ، الذي كلما همت نفسه بخير إما يعيقها ( بسوف ) حتى يفجأه الموت فيقول : ( ربي لولا أخرتني إلى أجل قريب ) ، وإما يركب بها بحر التمني وهو بحر لا ساحل له ، يدمن ركوبه مفاليس العالم ، كما قيل :

إذا تمنيت بتّ الليل مغتبطاً \*\*\* إن المنى رأس مال المفاليس

والمنى هي بضاعة كل نفس مهينة خسيصة سفلية ، ليس لها همة تنال بها الحقائق بل اعتاضت بالأمانى الدنية ، وقد قال المتنبي منزهاً نفسه

عن الاستغراق في الأحلام ، مبيناً كيف أُلّف الحقائق واعتاد ركوب الأخطار :

وما كنت ممن أدرك الملك بالمنى \*\*\* ولكن بأيامٍ أشبن النواصيا  
لبست لها كدر العجاج كأنما \*\*\* ترى غير صافياً أن ترى الجو صافيا

7. مرافقة سافل الهمة من طلاب الدنيا : الذي كلما هممت بالنهوض جذبك إليها ، وغرك قائلاً : ( عليك نوم طويل فرقد ) فحذار من مجالسة المثبتين من أهل التبطل والتعطل واللهو والعبث ، “ فإن طبعك يسرق منهم وأنت لا تدري ، ومن المشاهد أن الماء والهواء يفسدان بمجاورة الجيف ، فما ظنك بالنفوس البشرية “  
ولا تجلس إلى أهل الدنيا فإن خلائق السفهاء تعدي

8. العشق : لأن صاحبه يحصر همته في حصول معشوقه ، فيلهيه عن حب الله ورسوله ( وبئس للظالمين بدلا ) ، إن عالي الهمة لا يستأسر للعشق الذي يمنع القرار ويسلب المنام ويحدث الجنون ، فكم من عاشق أتلّف في معشوقه ماله ونفسه ودينه وديناه .

9. الإنحراف في فهم العقيدة : لا سيما مسألة القضاء والقدر وعدم تحقيق التوكل على الله عزوجل .

10. الفناء في ملاحظة حقوق الأهل والأولاد : واستغراق الجهد في التوسع في تحقيق مطالبهم ، نظراً لقولهص : ( وإن لأهلك عليك حقا ) مع الغفلة عن قولهص : ( وإن لربك عليك حقا ) ، وقد عدّ القرآن الأهل والأولاد أعداءً للمؤمن إذا حالوا بينه وبين الطاعة .

11. المناهج التربوية والتعليمية الهدامة : التي تثبط الهمم وتخنق المواهب وتكبت الطاقات وتنشئ الخنوع ، وأخطرها وأضرها المناهج التي ارتضت العلمانية ديناً ، فراحت تسمم آبار المعرفة التي يستقي منها شباب المسلمين ، لتخرّج أجيالاً مقطوعة الصلة بالله ، تبتغي العزة في التمسح على أعتاب الغرب ، وتأنف الانتساب إلى الإسلام .

12. توالي الضربات وازدياد اضطهاد المسلمين : مما ينتج الشعور بالإحباط في نفوس الذين لا يفقهون حقيقة البلاء وسنن الله عزوجل في خلقه ، وقد كان رسول الله ص يعزّي أصحابه المضطهدين في مكة بتبشيرهم بأن المستقبل للإسلام والعاقبة للمتقين ،

أخي ستييد جيوش الظلام \*\*\* ويشرق في الكون فجر جديد  
فأطلق لروحك اشراقها \*\*\* ترَ الفجر يرمقنا من بعيد

#### • فصل : أسباب ارتقاء الهمم :

1. العلم والبصيرة : فالعلم يصعد بالهمة ، ويرفع طالبه عن حضيض التقليد ويصنّف النية ، والعلم يورث صاحبه الفقه بمراتب الأعمال ، فيتّقي فضول المباحات التي تشغله عن التعبّد ، كفضول الأكل والنوم والكلام .

2. إرادة الآخرة وجعل الهموم همأً واحداً : قال تعالى : ( ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا ) ،

وقالص: ( من كانت همه الآخرة ، جمع الله شمله ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة ، ومن كانت همه الدنيا ، فرق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم تأت الدنيا إلا ما كتب الله له ) .

3. كثرة ذكر الموت : لأنه يدفع إلى العمل للآخرة والتجافي عن دار الغرور ، ومحاسبة النفس وتجديد التوبة ، وإيقاظ العزم على الإستقامة ، قال الدقاق : ( ومن أكثر ذكر الموت أكرم بثلاث تعجيل التوبة ، وقناعة القلب ، ونشاط العبادة ) ،

مازال يلهج بالرحيل وذكره \*\*\* حتى أناخ ببابه الحمّال  
فأصابه مستيقظاً متشمرّاً \*\*\* ذا أهبة لم تلهه الآمال

4. المبادرة والمداومة في كل الظروف : قال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ) فكبير الهمة يبادر ويبادئ في أقسى الظروف حمايةً لهيمته من أن تهمد ووقاية لها من أن تضمر .

5. الدعاء : لأنه سنة الأنبياء وجالب كل خير ، وقد قالص: ( أعجز الناس من عجز عن الدعاء ) وقالص: ( إذا تمنى أحدكم فليكثر ، فإنما يسأل ربه ) ،

إذا لم يكن من الله عون للفتى \*\*\* فأول مايجني عليه اجتهاده

6. الاجتهاد في حصر الذهن : وتركيز الفكر في معالي الأمور ، ولنا في ائمة السلف والخلف الأسوة في ذلك ، قال الحسن : ( نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل ) ، وكان الخليل بن أحمد يخرج من منزله فلا يشعر إلا وهو في الصحراء ، فهو يعمل الشعر فلا يشعر بنفسه ، ويقول وليم مارتن ( والعقل الإنساني يصبح أداة مدهشة الكفاءة إذا ركز تركيزاً قوياً حاداً . . . وهذه القدرة تكتسب بالمران ، والمران يتطلب الصبر ، فالإنتقال من الشرود إلى حصر الذهن ثمرة جهد ملح )

7. التحول عن البيئة المثبطة : إن للبيئة المحيطة بالإنسان أثراً جسيماً لا يخفى ، فإذا كانت البيئة مثبطة داعية إلى الكسل والخمول وإيثار الدون ، فإن على المرء هجرها إلى حيث تعلو همته ، كي يتحرر من سلطانها وينعم بفرصة الترقى إلى المطالب العالية ، وأشد الناس حاجة إلى تجديد البيئة المحيطة وتنشيط الهمة ، حديث العهد بالتوبة ، فإن من شأن التحول من بيئة المعصية إلى بيئة الطاعة أن تنسيه صحبة السوء وأماكن السوء .

8. صحبة أولى الهمم العالية : ومطالعة أخبارهم ، فالطيور على أشكالها تقع وكل قرين بالمقارن يقتدي ، وإن العبد ليستمد من لحظ الصالحين قبل لفظهم ، لأن رؤيتهم تذكر بالله عز وجل ، وكان الإمام أحمد ( إذا بلغه عن شخص صلاح أو زهد أو قيام بحق أو اتباع أمر ، سأل عنه وأحب أن يجري بينه وبينه معرفة ، وأحب أن يعرف أحواله ) ، وإذا أردت أن تلمس أثر الصحبة الصالحة العالية الهمة في التسابق إلى الخيرات ، فتأمل قول محمد بن علي السلمى رحمه الله : ( قمت ليلة سحراً لآخذ النوبة عن ابن الأخرم ، فوجدت قد سبقني ثلاثون قارئاً ، ولم تدركني النوبة إلى العصر ) ، ويقول عمر: ( ما أعطي عبد بعد الإسلام خيراً من أخ صالح ، فإذا رأى أحدكم ودّاً من أخيه فليتمسك به ) ، ويقول أ.د.خلدون الأحديب : ( وإذا نظرنا إلى أولئك الذين استفادوا من لحظات أعمارهم ، وكان من نتاجهم ما يعجب ويدهش ، نجدهم لا يصحبون إلا المجدين العاملين والنابهين الأذكياء ، الذين يحرصون على أوقاتهم حرصهم على حياتهم لأن الزمن هو الحياة ) .

9. نصيحة المخلصين : وقد يكون هذا الناصح الأمين أباً شقيقاً ، أو أمماً رحيمه ، كقول أسماء ذات النطاقين توصي ابنها عبدالله بن الزبير :  
( يا بني إن الشاة لا يضرها السلخ بعد الذبح ، امض واستعن بالله ) ، وقد تكون زوجة وقد يكون رجلاً من العوام ، كالأعرابي حين قال للإمام أحمد : ( يا هذا ما عليك أن تقتل هنا وتدخل الجنة ) فقال الإمام أحمد : ( ما سمعت كلمة أقوى لي من كلمة الأعرابي ) .

\* ملخصاً من كتاب علو الهمة للشيخ محمد اسماعيل المقدّم حفظه الله

كاتب المقالة : محمد بن عبدالعزيز المسعد

تاريخ النشر : 31/01/2013

من موقع : قناة نور الحكمة الإلكترونية - صوت علماء الأزهر الشريف بفاقوس

رابط الموقع : [WWW.norelhekma.com](http://WWW.norelhekma.com)